شبهات حول السنن الإلهية

أ.م.د. إقبال وافي نجم

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

كوثر محمد عبيد / طالبة دكتوراه

قسم القرآن والحديث الشريف / جامعة الكوفة

الملـخّـص

تعددت التفسيرات حول الكوارث الطبيعة والبشرية فمنهم من فسر الأولى بأنها مجرد ظواهر طبيعية، والثانية بأن الأسباب هي الحاكمة بالسنن، وغيرها من التفسيرات ليس لها سابق معرفة وأسباب واضحة، مما جعل الإنسان لا يسعى على تخطيها، ذلك أن غياب مفهوم وحِكم وأحكام السنن الإلهية في هذا الوقت الذي تمر فيه الأمة بأزمتها الحضارية جعل كثيرا من المسلمين يمضون على غير هدى في تفسيرها ودلالتها، فكان هذا البحث مساهمة في رد تلك الشبهات.

الكلمات المفتاحية: السنن، السنن الإلهية، الشبهة .

Summary

There are many interpretations about natural and human disasters, some of them interpreted the first as mere natural phenomena, and the second that the strongest prevail. The nation is going through its civilizational crisis, which made many Muslims go astray in its interpretation and significance, and this research was a contribution to clarifying it .

Keywords: Method, Divine Law, Suspicion.

المطلب الاول

الشبهة في المنظور القرآني

أولا: الشبهة في المنظور القرآني :

توطئة: شهدت الفترة الماضية وما نحن عليه الآن من مصائب وكوارث عديدة ومؤلمة أودت بحياة العديد من البشر ومن أبرزها كورونا التي لا زلنا نعيش معاناتها. إضافة الى الأوبئة السابقة كأنفلونزا الطيور وجنون البقر والسارس والايدز والزهري وكذلك ما يتعلق بالبيئة المناخية كالفيضانات والزلازل والبراكين وغيرها كثير مما أودت بحياة الملايين من البشر وشكل مشاهد مروعة تدعو للرهبة والخوف وتثير العديد من الأسئلة المتعلقة بتلك الظواهر على الصعيد العقدي، وقد تعددت التفسيرات والشبهات حول طبيعة حدوث تلك الكوارث فمنهم من فسرها بأنها مجرد ظواهر طبيعية ليس لها سبب معين واضح ولا تساعد الانسان في أن يسعى على تخطيها، ومنهم من فسرها بالعكس بأنها خاضعة للاسباب ولادخل لإرادة الله فيها ومنهم من قال أنها محض صدفة وغيرها من الأقوال ، ومن هنا بدأ البحث من أن أفعال الإنسان وإرادة الله تعالى لهما دور في ذلك وكيف على الإنسان أن يسعى لتجاوز الكوارث والخلاص منها وتعزيز المقدمات التي تفضي الى نتائج ايجابية كنهوض الحضارات وتقدم الأمم وتطبيق شرع الله تعالى ولمعرفة ذلك أولا نعرّف السنن الإلهية في اللغة والإصطلاح والاستعمال القرآني:

١ ـ تعريف السنن الإلهية في اللغة: جاء في لسان العرب: (سنة الله: اوامره وأحكامه ونواهيه، وسننها الله للناس أي بينها لهم، وسن الله سنة أي بين طريقها قويما

والسنة السيرة حسنة كانت أم قبيحة)[1].

٢ ـ السنن الإلهية في الإصطلاح: هي الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار، وهي التي تسمى شرائعاً ونواميسا ويعبّر عنها قوم بالقوانين .. والذي ينادي به الكتاب أنّ نظام الجماعة البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل وعلى من يطلب السعادة في هذه الجماعة أن ينظر في أصول هذا النظام، حتى يردّ إليها أعماله، ويبني عليها سيرته وما يأخذ به نفسه، فإن غفل فأنه سيشقى[2].

٣ـ الشبهة في اللغة: من (شبه) (الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ والجمع أَشْباهٌ وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله وفي المثل مَنْ أَشْبَه أَباه فما ظَلَم وأَشْبَه الرجلُ أُمَّه وذلك إذا عجز وضَعُفَ، والجمع مَشَابِهُ على غير قياس، وتَشابَه الشيئانِ واشْتَبَها أَشْبَهَ كلُّ واحدٍ صاحِبَه وفي التنزيل مُشْتَبِهاً وغَيْرَ مُتَشابه، والمُشْتَبِهاتُ من الأُمور المُشْكِلاتُ والمُتَشابِهاتُ المُتَماثِلاتُ، والتَّشْبِيهُ التمثيل وفي حديث حذيفة وذَكَر فتنةً فقال تُشَبَّهُ مُقْبِلَةً وتُبَيِّنُ مُدْبِرَةً قال شمر معناه أَن الفتنة إذا أَقبلت شَبَّهَتْ على القوم وأَرَتْهُمْ أَنهم على الحق حتى يدخلوا فيها ويَرْكَبُوا منها ما لا يحل فإذا أَدبرت وانقضت بانَ أَمرُها فعَلِمَ مَنْ دخل فيها أَنه كان على الخطأ والشُّبْهةُ الالتباسُ)[3].

٤ـ الشبه في الإصطلاح: لم يخرج المعنى الإصلاحي للشبهة عن المعنى اللغوي وتعني: (ماله شبه وشبه وشبيه، وفيه شبه منه، وقد أشبه أباه وشابهه، وما أشبهه بأبيه، وفي الحديث: " اللبن يشبه عليه " وتشابه الشيئان واشتبها، وشبّهته به وشبّهته إياه، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضاً، وفي القرآن المحكم والمتشابه، وشبه عليه الأمر: لُبّس عليه، وإياك والمشبهات: الأمور المشكلات، ووقع

في الشبهة والشبهات)[٤]، والشبهة: (هو ما لم يتيقن كونه حراماً أو حلالاً)[٥]، والشبهة: (الظن المشتبه بالعلم ذكره، وقال بعضهم الشبهة مشابهة الحق للباطل والباطل للحق من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب)[٦]، نخلص مما سبق إلى أن الشبهة تعني: الالتباس والمشبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات .

٥ـ الشبهة في الإستعمال القرآني :

هناك نماذج متنوعة لما يثار حول السنن الإهية من شبهات منها :

إن هذه الشبهات قد أحدثها خصوم الإسلام فى العصور المتأخرة، وليس بينها شبهة واحدة ترجع إلى عصر البعثة والوحى والتنزيل، فأغلب هذه الشبهات تحاول الزعم بوجود تناقضات واختلافات بين آيات القرآن الكريم والسنن الإلهية، وإذا كان القرآن قد تحدى خصوم الإسلام منذ لحظة نزوله، ليس فقط بالإتيان بشىء من مثله، وإنما بالعثور على أى تناقض فيه، وذلك عندما قال: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء: ٨٢، ولما لم يؤثر عن أحد من خصوم الإسلام وأعداء القرآن ـ الذين تحداهم القرآن هذا التحدى ـ أنه قال بوجود أى تناقض فى هذه التناقضات المزعومة بين آيات الذكر الحكيم، فإن جميع هذه الشبهات ـ إذن ـ طارئة، أثارتها وتثيرها انتصارات الإسلام ورسوخ أقدامه فى الصراعات الفكرية الحديثة والمعاصرة ـ رغم الضعف والاستضعاف الذى يعيشه المسلمون، وجاء في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) آل عمران:٧، ومعنى :(هُوَ الَّذِي

أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ) يعني: القرآن، (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) فالمحكم: هو ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن إليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه، نحو قوله: " إن الله لايظلم الناس شيئا " يونس: ٤٤، وقوله: " لا يظلم مثقال ذرة " النساء: ٣٩ لأنه لايحتاج في معرفة المراد به إلى دليل، والمتشابه: هو مالا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه)[٧]، وقوله: (فأما الذين في قلوبهم زيغ) يعني: (ميل يقال: أزاغه الله إزاغة أي أماله إمالة قال تعالى " فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم " الصف: ٥، ومنه قوله: " لا تزغ قلوبنا " آل عران: ٨، والتزايغ التمايل في الاسنان، والمعنى: إن الذين في قلوبهم ميل عن الحق اما بشك أو جهل فان كليهما زيغ " يتبعون ما تشابه منه " ومعناه يحتجون به في باطلهم " ابتغاء الفتنة")[٨]، فما يتذكر ويتعظ إلا أصحاب العقول السليمة .

ثانيا: منهج القرآن الكريم في الرد على شبهات الطاعنين فيه :

شبهات الطاعنين في القرآن الكريم :

لوتتبعنا شبهات الطاعنين في القرآن الكريم منذ نزوله إلى يومنا نجدها تسير في ثلاثة اتجاهات:

الإتجـــاه الأول: أن القرآن ليس كلام الله .

الإتجاه الثاني: أن القرآن غير محفوظ ولا مقدس فقد طرأ عليه النقص والخطأ والتحريف.

الإتجاه الثالث: إحداث فهم مغاير لفهم المسلمين يضاهي ما جاء في الكتاب والسنة المطهرة.

على هذه الاتجاهات الثلاثة تدور رحى الطاعنين في القرآن، وحولها أجلبوا بخيلهم ورَجْلهم. وهذه الاتجاهات الثلاثة تصب في سبيل تحقيق هدف واحد رئيس وهو قطع طريق الخلائق عن الله سبحانه وتعالى، ليعيش الناس حياة عبثية لا تصادم الأهواء والشهوات، وقد سار الطاعنون في القرآن في الاتجاهات الثلاثة وهاموا في أودية سحيقة، ففي الاتجاه الأول ادعوا دعاوى عديدة وأثاروا شبهات غريبة! جذرها يعود إلى وقت نزول القرآن، حيث تعددت أقوال المشركين في كون القرآن ليس من كلام الله، فمرة قالوا كذب من محمد (ص) واستعان عليه بأناس من اليهود والنصارى[٩]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ الفرقان: ٤، والإفك في القرآن هو الكذب[١٠].

ومرة قالوا أساطير الأولين، وأستاذ هذه الدعوى وأول مثيرٍ لها هو النضر بن الحارث و (كل ما في القرآن من ذكر أساطير الأولين فإنما هو بسبب قول النضر بن الحارث) .

ومرة زعموا أنه من كلام رجل أعجمي غير عربي، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل:١٠٣.

وأصبحوا في القرآن الكريم متشرذمين مختلفين، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ الحجر:٩١ . ووصل العناد ببعض الطاعنين في القرآن إلى ما حكاه الله عز وجل عنهم فقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الأنعام: ٧، بل ذهب الغلو ببعض الطاعنين في القرآن السائرين في هذا الإتجاه إلى القول بأن الله لم ينزل كتابًا قط ، ﴿وَمَا

قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام :٩١، كل ما سبق من هذه الدعاوى كان في زمن نزول القرآن، ثم تتطورت الدعاوى والشبهات في هذا الإتجاه على أيدي المستشرقين وتفننوا في تقليبها على أوجه عديدة(١١)، وانقسموا إلى عدة إتجاهات :

(فمنهم من يستبيح حرمة النص ولا يرى له قيمة إلا بإغراقه في الخيال وبعده عن الحقيقة إذ النص الذي يعكس الواقع لا قيمة له عنده إلا أنه ينتهي بحسب رأيه بانتهاء ذلك الواقع الذي عبر عنه، وبناءً عليه فليس للإسلام وجود خارجي عن أذهاننا وتصوراتنا وليس له حقيقة نهائية جاهزة بل هو مجرد أنماط وتصورات وصور وكلمات واستيهامات ينبغي تحليلها وتفكيكها بغية تحرير الإنسان العربي من سجنها، ومنهم من يتهم نصوص الوحي بحجب الحقيقة ويتعامل معها بمنطق بوليسي؛ لذا يتوغل في قراءتها ويفكك بنيتها ويعريها ويفضحها لتبوح له بما تسكت عنه وتخفيه، ومنهم من يدعو إلى الرمزية والنظر من خلالها إلى القرآن على أساس أنه مجرد علامات ورموز تدل على مفاهيم نظرية وفلسفية غايتها السيطرة على الواقع وإخضاع أهله والهيمنة عليهم، إلى آخر جعل أساسه في فهم القرآن

قائمًا على مبدأ نفي الترادف والمشترك معًا أو نفي الترادف دون المشترك ورأى أنه من آخر ما توصلت إليه الألسنية الحديثة)(١٢) ،ولقد كان لعلماء الإسلام منذ بزوغ هذا الفهم للقرآن المغاير لفهم المسلمين جهود فائقة في نقضه وكشفه بدءًا بكتب العقائد إلى دراسات وبحوث كثيرة لباحثين معاصرين، ونخلص إلى أن في توصيف مدار شبهات الطاعنين في القرآن والهدف من وراء كل شبهة مثارة عدة فوائد، من أبرزها:

١ – رسوخ الحجة وثبات القدم

٢ – الدقة في كشف الشبهات المثارة ونقضها.

٣– سلوك الطرق الصحيحة في الانتصار للقرآن.

٤ – المعالجة العلمية والمنهجية لظاهرة الطعن في القرآن.

وإن للطاعنين في القرآن والسنن الإلهية تحديدا مدارات أخر كمنهجهم في انتقاء الشبه وعرضها لا يكادون يخرجون عنها [١٣].

منهج القرآن الكريم في رد الشبهات :

منهج القرآن الكريم في رد الشبهات من أشرف المناهج وأكملها، وكان للمفسرين قديما وحديثا جهود بارزة في بيانه، وتجلية معالمه عند تفسير الآيات التي تناولت الشبهات، فقد برزت الحاجة إلى الوقوف على هذا المنهج، وبيان أهم معالمه بالنظر في أقوال أهل التفسير، ومن هنا جاء هذا البحث ليعرض عددا من أبرز خصائص المنهج القرآن في التعامل مع الشبهات ومن أبرزها:

١ـ شرف المصدر: تميز المنهج القرآني في الرد على الشبهات باستمداده من القرآن الكريم

الذي (اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام،

وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم، ودينهم، ومعاشهم، ومعادهم)[١٤]، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٣٨، (إن القرآن العظيم ينبوع العلوم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وأصل كل علم ورأسه)[١٥]، فهو بذلك أشرف المناهج لتعلقه بأشرف الكتب المنزلة، وقد اكتسب خصوصية ليست لغيره.

٢ـ الشمول: جاء المنهج القرآني في رده للشبهات في صورة عامة شاملة لمختلف الشبَه التي أثارها الطاعنون في زمن التنزيل، أو ما قابلت به الأمم السابقة رسلها مما اتصل بهذه الشبهات بشكل أو بآخر، ومنها: الطعن في الوحي، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ الله عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾الأنعام:٩١.

أو الطعن في نزول القرآن: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآَنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ الفرقان: ٣٢، والأمثلة في ذلك كثيرة، وهي تمثل أصلاً عام على الشبهات(١٦).

٣ـ الوضوح: يمتاز المنهج القرآني في دفع الشبهات ومحاجة الخصوم بالوضوح، والسهولة، مع الدقة في العرض والرد، قال السيوطي (ت٩١١هـ): (قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين؛ لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ إبراهيم: ٤ .

والثاني: أن المائل إلى طريق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن

من استطاع أن يُفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزا، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة؛ ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم، وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء)(١٧).

٤ـ البلاغة: يمتاز المنهج القرآني في عرض الشبهة وردها بالبلاغة في أتم وجوهها، ومن المعلوم أن البلاغة تتأكد عند تكرر الكلام، وقد عرض القرآن الكريم شبهات متكررة لم يفتر فيها حسن النظم، وجزالة اللفظ، ومام المعنى، وهذا شأن القرآن الكريم، فإنه كلما تكرّر حلا وعلا، لا يخلق عن كثرة الرد(١٨) .

ومن الشواهد على ذلك ما جاء به قوله تعالى على بيان شبهة قوم نوح: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف :٦٣، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): (ووصف رجل بأنه منهم، أي من جنسهم البشري فضح لشبهتهم، ومع ما في هذا الكلام من فضح شبهتهم فيه أيضا ردّ لها بأنهم أحقاء بأن يكون ما جعلوه موجب استبعاد واستحالة هو موجب القبول والإيمان، إذ الشأن أن ينظروا في الذكر الذي جاءهم من ربهم، وأن لا يسرعوا إلى تكذيب الجائي به، وأن يعلموا أن كون المذكر رجلاً منهم أقرب إلى التعقل من كون مذكرهم من جنس آخر من ملك أو جني، فكان هذا الكلام من جوامع الكلم في إبطال دعوى الخصم، والاستدلال لصدق دعوى المجادل ...)(١٩).

وقد عرض القرآن الكريم عن هذه الشبهة في موضع آخر في بيان دعوى المشركين، وكانت صورة أخرى لبلاغة القرآن، قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ق (٢ـ٣) .

عبر ابن عاشور بوصف منذر: (للإيماء إلى أنّعجبهم كان ناشئا عن صفتين في الرسول (ص)،إحداهما: أنه مخبر بعذاب يكون بعد الموت والثانية: كونه من نوع البشر، وفرع على التكذيب الحاصل في نفوسهم ذكر مقالتهم التي تفصح عنه وعن شبهتهم الباطلة بقوله: فقال الكافرون: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ...الآية، وخص هذا

بالعناية بالذكر؛ لأنه أدخل عندهم في الاستبعاد، وأحق بالإنكار، فهو الذي غرهم فأحالوا أن يرسل الله إليهم أحد من نوعهم، ولذلك وصف الرسول ابتداء بصفة منذر قبل وصفه بأنه منهم؛ ليدل على أن ما أنذرهم به هو الباعث الأصلي لتكذيبهم إياه، وأن كونه منهم إنما قوى الاستبعاد والتعجب، ثم إن ذلك يتخلص منه إلى إبطال حجتهم وإثبات البعث...فقد حصل في ضمن هاتين الفاصلتين خصوصيات كثيرة من البلاغة: منها إيجاز الحذف، ومنها ما أفاده الإضراب من الاهتمام بأمر البعث، ومنها الإيجاز البديع الحاصل من التعبير بـ ،ومنها إقحام وصفه بأنه منهم؛ لأن لذلك مدخلاً في تعجبهم، ومنها الإظهار في مقام الإضمار على خلاف مقتضى الظاهر، ومنها الإجمال المعقب بالتفصيل في قوله: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ، أَئِذَا مِتْنَا..﴾(٢٠)

٥ـ الثبات: إن المنهج القرآني في الجواب عن الشبهات صالح لكل زمان ومكان، وهو بذلك يُستند إليه لا سيما عند تجدد الشبهة، وهو الأمر الذي دل عليه البيان في القرآني في عدد من الشبهات، منها: شبهة ادعاء نزول الوحي على غير الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله...﴾ الأنعام: ٩٣، قال ابن كثير(ت٧٧٤هـ):

(هذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة الله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه)(٢١).

المبحث الثاني

شبهات وردود حول السنن الإلهية

الكثير من الشبهات التي طُرحت حول السنن الإلهية وأثارت جدلا واسعا منها ما هو مقصود ومنها ماهو غير مقصود وما يهمنا في هذا المبحث هو طرح هذه الشبهات والرد عليها ردا علميا من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة ومن خلال العقل والمنطق، وأهمها:

الشبهة الأولى : ربط السنن الإلهية بالأسباب فقط :

أولا: عرض الشبهة :

والمقصود منها أن النتائج متحققة لا محال بمجرد وجود الأسباب تتحقق النتائج بدون تدخل إرادة الله عز وجل ومشيئته الغالبة في الكون أي أن الأسباب مستقلة عن إرادة الله تعالى وتدبيره وبالتالي فلا حاجة لتدخل المشيئة الإلهية لتحقيق النتائج المنشودة .

ثانيا: الرد على الشبهة :

هذا الكلام ليس صحيحا والدليل أن بذر البذور في التربة لإنبات الزرع وإن كان متعلق بالإنسان وهو ـ السبب ـ إلا أن إنبات الزرع والإثمار وتوفير الشروط المتعلقة به وإزالة الموانع من شأن الله تعالى وإرادته، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ النمل: ٦٠، فقد ذكر

إنزال الماء لأنه من جملة ما خلق الله تعالى، ولقطع شبهة أن يقولوا: إن المنبت للشجر الذي فيه رزقنا هو الماء اعتمادا على السبب المادي، بالتأكيد أن الله هو الذي خلق الماء، وهو خالق المسببات بإزالة الموانع والعوارض المعيقة لتأثير الأسباب، وبتوفير القوى الحاصلة في الأسباب، وتقدير المقادير المناسبة للانتفاع بالأسباب، فقد ينزل الماء بكثرة فيجرف الزرع والشجر أو يقتلهما، ولذلك جمع بين ﴿وأنزل﴾ وقوله ﴿ فأنبتنا﴾ تنبيها على إزالة الشبهة[٢٢]، ثم أن السنن الإلهية لاتجري بحصول الأسباب فقط، ولكن لابد من وجود المقتضي وارتفاع المانع، وأن السنن الإلهية ـ الإجتماعية والطبيعية ـ ليست انعزالا عن الله تعالى لأن الله يمارس قدرته من خلال هذه السنن فهي إرادة الله تعالى وهي بحد ذاتها ممثِّلة لحكمة الله تعالى وتدبيره في الكون[٢٣]، فلا مجال أن يخوض الخائضون في مثل هذه الشبهة وهي واضحة بيّنة ليس فيها غبار

الشبهة الثانية: إبطال حقائق العلوم بإنكار قانون السببية :

أولا: عرض الشبهة :

كل مافي الكون من حركة وأحداث ونتائج لا دور للأسباب فيها إذ لا وجود لقانون السببية.

ثانيا: الرد على الشبهة :

لقد جاء في كتاب الله العزيز أن الأسباب الشرعية هي محل حكم الله تعالى ورسوله (ص) ،ولايمكن أن يبدل خلق الله تعالى ولا تغيير لحكمه، فكما أن سبحانه لا يخالف الأسباب القدرية وأحكامها بل يجريها على أسبابها وما خُلقت له فكذلك الأسباب الشرعية لا يخرجها عن سببها وما شرعت له، فهي سننه شرعا وأمرا، وتلك

سنته قضاء وقدرا، قال تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا ﴾ فاطر: ٤٣ ،[٢٤] فالمسببات مرتبطة بأسبابها شرعا وقدرا، ولذلك فالبحث عنها من غير أسبابها مذموم، كما أن إنكار الأسباب التي توصل لها أمر مردود، بل أن النتائج المترتبة على إنكار قانون السببة كافية لهدم حقائق العلوم كلها، فإن العلوم جميعها تستند إلى هذا القانون، ونفي الأسباب أن تكون أسبابا، يعد نقصا في العقل، وهو طعن في الشرع أيضا، فالله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ البقرة: ١٦٤، وقال تعالى ﴿ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة: ١٦، [٢٥]،والنتيجة أنه قد ثبت يقينا عن طريق القرآن الكريم أنه لايوجد شئ في الكون اسمه المصادفة العمياء بل كل شئ خلق بنظام دقيق، قال تعالى :﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩، وقال تعالى: ﴿.. وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) الفرقان: ٢، ومعنى الآية: (ليس نظام العالم الدقيق والمتقن وحده من الدلائل المحكمة على معرفة الله وتوحيده، فتقديراته الدقيقة أيضاً دليل واضح آخر، أنّنا لا يمكن أن نعتبر مقادير موجودات هذا العالم المختلفة، وكميتها وكيفيتها المحسوبة، معلولة للصدفة التي لا تتوافق مع حساب الإحتمالات)[٢٦] .

خاتمة بأهم النتائج

إن هذه الشبهات قد أحدثها خصوم الإسلام فى العصور المتأخرة، وليس بينها شبهة واحدة ترجع إلى عصر البعثة والوحى والتنزيل، فأغلب هذه الشبهات تحاول التشكيك بالقرآن الكريم والسنة النبوية لذلك وضع القرآن الكريم منهجا للرد عليها بقوة.

ان الباحثين في ردهم هذه الشبهات استندوا الى حقائق تاريخية وموضوعية اسهمت الى حداً بعيد في لجم افواه المشككين .

* هوامش البحث *

(١) لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأفريقي المصري المعروف بابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م: ١٣/ ٢٢٠.

(٢) التعريفات: علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ: ١/ ٤٠.

(٣) لسان العرب: إبن منظور: ١٣ / ٥٠٣ .

(٤) أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ هـ: ١/ ٢٣٥ .

(٥) التعريفات: الجرجاني: ١/ ٤٠ .

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ: ١ / ٤٢٢ .

(٧) التبيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٢ هـ : ٢/ (٣٩٣ـ ٣٩٤) .

(٨) التبيان: الطوسي: ٢/ ٣٩٤ .

(٩) ظ: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، تح: أحمد محمد شاكر – أبو جعفر الآملي، مؤسسة الرسالة، دط ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م : ١٧/ ٣٩٨.

(١٠) ظ: التبيان: الطوسي: ٥/ ٢٠٠ .

(١١) ظ: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤١٣هـ : ١/ ٣٨١.

(١٢) الحداثيون العـــرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقـرآن الكـــريم ـ دراسة نقدية: مفتاح الجيلاني، دار

النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ: (١٢٥ – ١٢٦) .

(١٣) د. محمد بن عبد الرحمن الطاسان

(https://albayan.co.uk/AuthorPage.aspx? authorid=11669 Dec 07, 2015

https:// albayan.co.uk/ MGZcat.aspx?ID =49.

(١٤) تفسير القرآن العظيم: أسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار طيبة للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٥ هـ : ٤/ ٥٩٤.

(١٥) لطائف الإشارات لفنون القراءات: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك للطباعة، وزارة الشؤون الإسلامية للنشر، السعودية، ١٤٣٤هـ: ١/ ٣.

(١٦) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين، مدرسة الإمام علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ، قم، ط١، ١٣٧٩هـ: ٩/ ١٧٠ .

(١٧) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بجلال الدين السيوطي، تح: سعد

المندوب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٤١٦ هـ : ٤/ ٦٠

(١٨) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ١/ ٢٠٠ .

(١٩) التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر، تح: مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين، الدار التونسية للنشر، تونس، قم، ط١، ١٩٩٧م : ٨/ ١٩٦ .

(٢٠) ظ: التحرير والتنوير : ٢٦/ ٢٣ .

(٢١) تفسير القرآن العظيم : ٧/ ٨٥.

(٢٢) ظ: التحرير والتنوير: ابن عاشور: ٢٠ / ١١ .

(٢٣) ظ: السنن التاريخية في القرآن: السيد محمد باقر الصدر، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م : ٧٠ .

(٢٤) السنن الإلهة: عبد الكريم زيدان: ٢٠ .

(٢٥) ظ: السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات في القرآن الكريم ـ أصول وضوابط : مجدي عاشور، دار السلام للطباعة، ط١، ٢٠٠٧م: ١٥٨ .

(٢٦) الأمثل: الشيرازي: ١١/ ١٩٠ .

* المصادر والمراجع *

* القرآن الكريم .

١. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بجلال الدين السيوطي(ت ١١٩هـ) ، تح: سعد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٤١٦ هـ .

٢. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤١٣هـ .

٣. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ هـ .
٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين، مدرسة الإمام علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ، قم، ط١، ١٣٧٩هـ .
٥ . التبيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٢ هـ .
٦. التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر(ت١٣٩٣هـ -١٩٧٣م)، تح: مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين، الدار التونسية للنشر، تونس، قم، ط١، ١٩٩٧م .
٧. التعريفات: علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ .
٨. تفسير القرآن العظيم: أسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ)، دار طيبة للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٢٥ هـ .
٩.التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ .
١٠. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر - أبو جعفر الآملي، مؤسسة الرسالة، دط ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
١١. الحداثيون العـــرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقـرآن الكـريم ـ دراسة نقدية: مفتاح الجيلاني، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ.
١٢. ألسنن الإلهية في الأمم و الجماعات و الأفراد في الشريعة الإسلامية : عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢ م .
١٣. السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات في القرآن الكريم ـ أصول وضوابط : مجدي عاشور، دار السلام للطباعة، ط١، ٢٠٠٧م .
١٤.السنن التاريخية في القرآن: السيد محمد باقر الصدر، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م .
١٥. لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأفريقي المصري المعروف بأبن منظور(ت ٧١١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

١٦. لطائف الإشارات لفنون القراءات: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك للطباعة، وزارة الشؤون الإسلامية للنشر، السعودية، ١٤٣٤هـ.

المواقع الألكترونية

١. د. محمد بن عبد الرحمن الطاسان ، الانتصار للقرآن الكريم:
https://albayan.co.uk/AuthorPage.aspx?authorid=11669) Dec 07,
https://albayan.co.uk/MGZcat.aspx?ID=49.(

❋❋❋